الى علماء الاسلام الاعلام (*

« في الاستانة وسائر الولايات العثمانية ومصر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقزان والهند وسائر البلاد المشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيخضع لكم الملوك والامراء ، وتهتدي بكم الدهماء ، كنتم فبقتم أو كدتم ، وبعدتم عن الامة وبعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فبم تجيبون ، وماذا تقولون

اذا أضعتم الامة أضعتم أنفسكم ، ولا تغرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام الحكام لكم ، واعلموا ان كل ما لكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشعور بذلك على تعليم أولاده في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آمنا مطمئنا على رزقهم وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وان أحدكم ليصوم وأولاده في الدار مفطرون ، ويصلي وهم لا يصلون ولا يتطهرون ، أرضيتم لكم ولهم بالحياة الدنيا من الآخرة ، أم تزعموا انكم قمتم بما يجب عليكم في هذه التربية الخاسرة ؟ ؟

إنكم حرمتم في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض الامور الشخصية ، والقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة ورواتبا من القاضي بالقوانين الوضعية ، وحرمتم في بعض البلاد من اكثرها ، وستحرمون فيها اذا

(*) نشرنا هذه المقالة بجريدة الحضارة في الآستانة

بقيتم على حالكم من باقيها ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي التعليم الديني فيها بقية رسمية هي كالعضو الأثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد ولكنكم ظلمتم أنفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما يفعلوا في بعض البلاد فسيفعلون وسيفعلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا الا بذكر في جنب ما سيفعلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا أنفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستعيدوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، ولن لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين العثمانية والفارسية لفرصة إن اغتنمتموها كانت القاضية لكم ، والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا وكن هذا الحكم الزكين ، وحصنه المصين ، تستعبدوا في ظله مجدكم ومجد ملتكم وأمتكم

ظلمتم أنفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقتها الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مرتبة التعليم والتربية لانفسكم ، فانكم لو نظرتم في ذلك لسارعتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها لتحفظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكرتم تعليمها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها الملية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولامتكم ودولتكم ، ولماذا لم تفعلوا ؟

رأيت منكم من يعتذر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستبداد الحكام ، ورأيت منكم من يعتذر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم لقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء وانهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم المحتار الذي لا يدري كيف يعتذر ، ورأيت وسمعت ما لا يتسع هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا لجميع الاسباب ، والعلة التي أراها هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلته تخاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا اكد شيئا كأكيده وجوب الاجتماع والاتفاق ، فان كان الشيطان قد سوّل لكثير من المختلفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لعقلائنا اليوم ان يعلموا ان هذا التفرق سينتهي بالانقراض والزوال ، اذا لم تتداركه بالاعتصام والالتئام ، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وكونوا أنتم الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم لزعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين

ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤمروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلما نهيتم عن التخاذل والتباين ، قد الفوا جمعيات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الغنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقوامهم ، ثم جذبوا اليه كثيرا من أهل الاديان الاخرى حتى في غير بلادهم ، ألستم أولى منهم باحتكار تعليم أبناء دينكم ، وبتعميم الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزكم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضعتكم ، حاسبكم الله تعالى ووقاكم

يخطر في بال ضعفاء العزيمة منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصارى في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأتم جمعية اسلامية وأريتم الناس ثمرتها ، واقنعتموهم بفائدتها ، وجئتموهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرفتم عليهم من يقاوم منافعهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الأوقاف الكثيرة على المدارس والملاجئ والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، وبعضهم وقف على ضمان المتلفات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الاوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كنزا عظيما ، وان في أيديكم رفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان أوقاف جميع الملل في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوبة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، اننا اذاً نحن المغبونون ، وانا اذا لنحن الخاسرون ، كلا ان لنا في نجدتكم أيها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من الغبن والخسر ،

سارعوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولتكن جمعياتكم متعارفة متآلفة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنة ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المنافقين فيكم ، الذين يوضعون خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمعوا ، والأيد قوة فاتحدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والتسامح (والتعاذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم العلماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وساعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية وتخريج الدعاة الى الاسلام ، فهل يليق بكم ان تتكلوا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن تستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام ـ العثمانية والايرانية ـ بالنواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا يجيب معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، ومن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسته العالية ، وعدالته العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلائه لشأن الاجتماع ، ومحافظته على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاحمدوا الله أن أنقذكم من الاستبداد وجعل الدولة للأمة التي أنتم زعماؤها واشكروا له ذلك بالقيام بحقوق هذه الزعامة لعلكم تفلحون